ميزان القوى الاستراتيجي

في الشرق الأوسط بعد عام 2010

م.م. مروان عوني كامل

جامعة تكريت – مركز صلاح الدين الأيوبي

للدراسات التاريخية والحضارية

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.25.3.2018.p

المقدمة

تعتبر القضايا المتعلقة بمسألة قياس التوازن الاستراتيجي للقوى من أهم المواضيع والابحاث المتجددة على صعيد دراسة العلاقات الدولية في العصر الحديث. إذ توفر العديد من الدول والمؤسسات جانباً كبيراً من التخصيص المالي لدعم الابحاث والدراسات التي تعنى بهذا الموضوع .

ولإن سمة الدوام في التغيير ، هي أبرز العوامل المؤثرة على حالة التوازن في القوى ، فيما يتعلق بعلاقات القوة والعلاقات الدولية بشكل عام ، فإن العودة الى قياس درجة التغيير وأسبابه ونتائجه هي في صلب اهتمامات جميع المعاهد والمراكز البحثية والمؤسسات المعينة بدراسة هذه الظاهرة .

كما ان مناهج البحث الخاصة بمسألة التوازن تتعدد ، منها المنهج المقارن ومنها المنهج الاحصائي ، إضافة الى المناهج التقليدية الأخرى .

غير أن التواتر السريع في الأوضاع الذي أصبح يلازم إلى حد كبير علاقات المجتمع الدولي اليوم ، قد فرض أنماطاً إضافية الى طرق وأساليب البحث والقياس . فقد أصبح في مقدور المتخصصين في حقل العلاقات الدولية التوصل الى نتائج موضوعية ودقيقة من خلال مراقبة الحدث الدولي وتشخيص نتائجه وتداعياته ، في ضوء الادراك الصحيح للحالة الدولية ولدوافع وأهداف الوحدات الدولية ذات العلاقة.

من هنا ، فقد جاء اختيارنا لهذا النمط من البحث بالموائمة مع سلسلة قيمة من الدراسات التي صدرت عن مراكز أبحاث مرموقة ، كمؤسسة راند ومعهد بروكنغز، والتي تناولت قياس الدوافع والغايات التي اتجهت بأبرز اللاعبين المحليين والدوليين في المنطقة الى حادث أسطول الحرية في مياه البحر المتوسط ، وما رافق تلك الحادثة من نتائج وتداعيات على المستوى الاستراتيجي .

تتكون هذه الدراسة ، بعد هذه المقدمة ، من تمهيد ومبحثين وخاتمة . وقد جاء المبحث الأول تحت عنوان (إختلال ميزان القوى) والمبحث الثاني بعنوان (توازن القوى في السياستين الأمريكية والاسرائيلية) .

تمهيد

في فجر يوم 31 أيار 2010 ، وقعت مجزرة أسطول الحرية ، بعد أن قامت القوات الاسرائيلية بعملية عسكرية أطلقت عليها اسم (عملية نسيم البحر) ، داخل المياه الدولية للبحر المتوسط ، استهدفت نشطاء سلام كانوا على متن قوارب تحمل 581 متضامناً من حركة (غزة الحرة) ، معظمهم من الأتراك ، متجهين لكسر الحصار الاسرائيلي المضروب على غزة . وقد وصف الرأي العام العالمي العملية بأنها مجزرة وجريمة وإرهاب دولة ، فقد نفذت بإستخدام الرصاص الحي والغاز وأوقعت عدداً من القتلى والجرحى جلهم من الأتراك أيضاً .

وبعد هذا الحادث ، دار جدال واسع وما زال ، حول الدور التركي المتعاظم في المنطقة وفي عموم هذا الجدل ، أثيرت ، عربياً وعالمياً ، تساؤلات كثيرة حول أبعاد هذا الدور وحدوده ومستقبله والموقف العربي المفترض منه ، وكذلك مواقف القوى الاقليمية والعالمية المعنية مباشرة بشؤون المنطقة .

إذ شرعت تركيا ، مع بداية العقد الحالي ، في تطوير رؤيتها وسياستها على نحو يتواكب مع المستجدات في القرن الحادي والعشرين ، وبذلت جهودها لإرساء رؤيتها على أرضية صلبة توظف فيها موروثاتها التاريخية والجغرافية التوظيف الأمثل .

وفي تغير جذري وغير مسبوق ، شهد الشرق الأوسط في الفترة الاخيرة حضوراً تركياً متنامياً لا يمكن مقارنته بما كانت عليه العلاقات التركية – الشرق أوسطية من قبل . وكان وراء هذا الحضور التركي عدة عوامل ، منها إزدياد تأثير تركيا في منطقة الشرق الأوسط وعلاقاتها الثنائية المتطورة تطوراً سريعاً مع دول المنطقة ، وتعاونها مع المنظمات الاقليمية ووصولها الى مكانة جعلت منها دولة مسموعة الكلمة لدى المجتمع الدولي فيما يتعلق بمشكلات المنطقة. [1]

كما لم يبقى لتركيا ، بما باتت تمتلكه اليوم ، من بد في قبول ما هو أقل من هذه المكانة . فالموقع الاستراتيجي بين الشرق والغرب ، والبلقان والقوقاز ، والاسلام والمسيحية والبحرين الابيض والاسود ، والارث الحضاري ، وموقع الثقل في التوازنات الدولية ، حتى بعد إنتهاء

الحرب الباردة ، القوة العسكرية الضاربة ، الاقتصاد المتنامي السادس عشر في العالم هوامش الديمقراطية النيابية والبلدية ، العلمانية في مجتمع متعدد دينياً ومذهبياً .(2)

كل ذلك ، إضافة الى عوامل أخرى ، قد دفعت بتركيا الى صدارة القوى الناهضة عالمياً وفي الموقع الأول في المنطقة .

وليس من المبالغة القول ، أن تركيا قد اضحت اليوم تمتلك قدرات وقنوات إتصال تجعلها قادرة على متابعة كل التطورات التي يموج بها الشرق الأوسط ساعة بساعة . (3)

وقبل هذا ، وطوال السنوات القليلة الماضية ، يثور الجدل أيضاً حول الدور الإيراني المتعاظم في المنطقة العربية ، وأيضاً حول إبعاده ومستقبله والموقف العربي منه.

فاستراتيجية الهيمنة الاقليمية التي تطورها وتنفذها إيران هي المبلور الاستراتيجي البارز في الشرق الأوسط . والخطر الإيراني ، بأبعاده الاربعة ، المشروع النووي ، دعم الإرهاب ، محاولة زعزعة الأنظمة العربية ، والخطر الآيديولوجي هي أبرز أدوات هذه الاستراتيجية . (4)

وبات واضحاً اليوم ، أن إيران قد نجحت بشكل كبير في فرض مشروعها الاستراتيجي على جميع دول المنطقة من خلال مراوغة القوى الدولية ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية في أربعة محاور استراتيجية على المستوى العالمي ، ففي محور أفغانستان ، توافقت المصلحة الإيرانية مع المصلحة الامريكية، بالقضاء على عدو استراتيجي لكل من الدولتين وهو نظام طالبان ، الذي لا يلتقي فكريا وعقائدياً مع النظام الإيراني . أما المحور الثاني ، فهو خلاص إيران من العدو الرئيسي في المنطقة المتمثل في العراق ، حيث إرتكبت الولايات المتحدة هناك أخطاء استراتيجية فادحة بعد إسقاط النظام العراقي ساهمت جميعها في تغيير ميزان القوة في المنطقة لصالح إيران . والمحور الثالث ، هو دفع سوريا للإستمرار في التحالف الكامل مع إيران في ظل الحصار العربي والدولي . أما المحور الاستراتيجي الاخير ، فهو تفويض النظام الدولي إسرائيل ، وبشكل شبه كامل ، التعامل مع مجريات الاحداث على الساحة الفلسطينية ، وساعد في ذلك حالة التفكك والأزمة التي يعيشها النظام العربي ، ما دفع بمجمل قوى المقاومة الفلسطينية الإسلامية الى التحالف مع إيران ، بحيث أصبح القرار الفلسطيني محكوما الى حد ما بالعلاقة مع ايران ، وساهم النظام الدولي بالسماح لإيران

بالتدخل في شؤون القضية الفلسطينية من خلال عزل الأنظمة العربية ، وعدم تسوية الصراع العربي – الاسرائيلي على أسس عادلة تضمن حقوق الشعب الفلسطيني .(5)

وعلى الرغم من أن لكل دولة الحق في أن تسلك السياسات لتي تمليها عليها مصالحها الوطنية ومقتضيات أمنها القومي وأن تكون لها تصوراتها الخاصة حيال أهدافها الاستراتيجية بعيدة المدى ، فإن ذلك لا يعفيها في الوقت نفسه من أن تضع ضمن حساباتها مصالح الآخرين ومتطلبات أمنهم ووجوههم .

وإذا كانت العلاقات الدولية تعني في معناها الدقيق إدارة المتناقضات الدولية ، فإن التفسير العقلاني والرشيد لهذا المفهوم يحتم على الوحدات الدولية إيجاد جميع المقتربات التي تؤدي إلى تحقيق أهدافها ضمن أطر من التوافق والشراكة .

وعلى هذا الأساس ، تحاول هذه الدراسة أن تمارس استقراءا واقعياً لكل من الدورين التركي والإيراني في الشرق الأوسط ، وفي القلب منه منطقتنا العربية . كما تطرح تساؤلات كثيرة ذات طابع استراتيجي ، وتحاول الإجابة عليها ضمنياً وبطريقة موضوعية . تساؤلات من قبيل ما يلي:

في أي سياق استراتيجي بالضبط نضع الدور التركي والدور الإيراني في المنطقة العربية ؟

ما هي بالضبط الأهداف والغايات الاستراتيجية بعيدة المدى التي تسعى تركيا وإيران الى تحقيقها ؟

هل هذه الأهداف والغايات الاستراتيجية التركية والإيرانية تصب استراتيجياً في خدمة العرب والمصالح العربية ، أم هي على حسابهم ؟

ما هو بناءا على كل هذا ، الموقف العربي المفترض إتخاذه من الدور المتعاظم لتركيا وإيران في المنطقة العربية ؟

والمدخل المناسب لمناقشة هذه التساؤلات والمسائل التي تفرضها ، هو مناقشة وتحليل ميزان القوى القائم في منطقة الشرق الأوسط اليوم والصراع على القوة والنفوذ فيه .

المبحث الأول: اختلال ميزان القوى

لقد بات من بين المسلمات ، عند استعراض التاريخ القريب في الشرق الأوسط ، أي منذ بداية نشوء الكيانات السياسية في هذه المنطقة عند منقلب القرن الماضي ، أن مسألة التوازن الاستراتيجي للقوة لم تكن يوما لصالح العرب .

لكن ذلك لم يمنع من ظهور مراكز للقوة العربية ، انتقلت ضمن هذا التاريخ بين مركز عربي وآخر . فكان أن تقدمت مصر ، ثم أن تقدم العراق ليحتل هذا المركز . وعلى هذا كان تداول القيادة في النظام الاقليمي العربي على رأس كل دورة من دورات التاريخ العربي القديم والحديث .

ومع بداية القرن الحالي حدث الانقلاب الكامل لهذا المفهوم . فبعد إحتلال العراق، أصبحت الساحة العربية في حالة فريدة تأريخياً من فراغ القوة . إذ أن إنهيار العراق ، باعتباره أحد أركان النظام الإقليمي العربي الثلاث الى جانب كل من مصر وسوريا ، قد أدى الى تحول هائل في ميزان القوى الاستراتيجي في المنطقة العربية لصالح القوى الاجنبية غير العربية وعلى حساب القوى العربية .

من هنا ، فقد اصبح من الصحيح إعتبار أن إحتلال العراق في عام 2003 ، قد تحول الى محطة تأريخية بارزة من عمر الشرق الأوسط يؤرخ لما قبلها وما بعدها كفترتين متمايزين. فكما حدث في الماضي غير مرة ، تحولت قوة العرب بعد أحتلال العراق الى حالة من السيولة والتفكك .

وفي السنوات الماضية ، كانت هذه القضية محل إهتمام الكثير من الدراسات الاستراتيجية وخصوصاً في الغرب والتي تناولتها من زوايا وجوانب مختلفة . ومن المهم لنا ، كباحثين عرب ، أن نكون على إلمام بالجوانب التي تثيرها هذه الدراسات، فهي تتطرق الى تفاصيل في غاية الأهمية لا بد أن نتوقف عندها بالبحث والتحليل .

وسنكتفي هنا بالتوقف عند أحدث وأهم هذه الدراسات التي تناولت هذا الموضوع. الدراسة نشرتها مؤسسة (راند) الامريكية المعروفة عام 2010 وتحمل عنوان (تأثير العراق : الشرق الأوسط بعد حرب العراق).

(The Iraq Effect : The Middle East After The Iraq War).

وقد أعد هذه الدراسة خمسة من كبار الباحثين ، وتم إعدادها أصلاً لحساب القوات الجوية الامريكية ، وهي دراسة طويلة وتقع في 217 صفحة وتدرس مجمل الاوضاع في المنطقة بعد غزو وإحتلال العراق وخصوصاً من زاوية التحديات التي تفرضها هذه الأوضاع على الولايات المتحدة ، وكيف يجب أن تتعامل معها .

لكن الذي يهمنا هو الاجزاء التي تتعلق بالذات بالموضوع الذي نطرحه ، أي قضية توازن القوى في الشرق الأوسط ، كما تعرضه الدراسة .

تبدأ الدراسة باستعراض الحالة العربية العامة ، ثم تقول :

أن المحيط الاقليمي العربي إتسم منذ إحتلال العراق بالغموض وعدم التحديد ، وأنه على الرغم من صعود المخاوف من تآكل النفوذ الامريكي في المنطقة ، فإن الولايات المتحدة وإيران خرجتا من هذا الصراع بإعتبارهما القوتين الرئيسيتين في المنطقة ، وذلك في ظل ضعف أنظمة الحكم العربية ، وفي ظل إفتقاد فاعل نشط يقوم بدور موازن للدور الإيراني في المنطقة ، في الوقت نفسه الذي تركزت فيه التحركات الإيرانية في المنطقة على فكرة ضعف وتناقض الاستجابات العربية تجاهها. (6)

ويمكن تلخيص أهم ما جاء في دراسة مؤسسة راند بالنقاط الأساسية التالية (7) :-

1. أنه منذ الحرب العالمية الثانية ، كان النظام الاقليمي التقليدي في الشرق الأوسط يحكمه التنافس بين إيران من جانب ، وعدة قوى عربية مجتمعة من جانب آخر وبالأخص العراق والسعودية ومصر وسوريا ، وكان هذا التنافس جوهره بالطبع التنافس على لعب دور الريادة الإقليمية والدورالإقليمي الأكثر تأثيراً ونفوذاً .

والتنافس بين هذه القوى الاقليمية ، كانت تغذيه وتدعمه عسكرياً وسياسياً طوال فترة الحرب الباردة القوتين العالميتين الكبيرتين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي . هذا الدعم كان بهدف ضمان ألا تبرز قوة إقليمية وحيدة في المنطقة ، أو كتلة آيديولوجية واحدة ، يكون لها وحدها الهيمنة الكاملة في المنطقة .

2. وهكذا ، فإنه حتى عام 2003 ، عام إحتلال العراق ، كان التوازن الاقليمي في المنطقة يتضمن دوماً قوى عربية بالإضافة الى إيران . بمعنى أنه كانت هناك دوماً قوى عربية لديها القوة والنفوذ والتأثير الفاعل في تطورات ومصائر المنطقة .

لكن بعد احتلال العراق ، والتطورات التي شهدتها المنطقة ، حدث تحول جذري في التوازن الاقليمي في المنطقة لصالح الدول غير العربية .

ذلك أن احتلال العراق والتطورات التي تلته كرست إنهيار القوى العربية وصعود قوة إيران خصوصاً ونفوذها الاقليمي .

أصبحت إيران تملك قوة كبيرة في قلب الشرق الاوسط ، من العراق إلى لبنان الى غزة .

وتعطي الدراسة أهمية كبيرة لما أسمته بـ (العامل النفسي) ودوره في الخلل الذي طرأ على ميزان القوى في المنطقة . وتقصد هنا العوامل النفسية التي ارتبطت بسقوط الدولة العراقية المستقرة ، ثم بعد ذلك بسيطرة الحكومات العراقية التالية ذات العلاقات الوطيدة والطويلة مع إيران ، كان له تأثير مهم في الإدراك العربي بتعاظم تأثير القوة الإيرانية الاقليمية . وكذلك الامر بالنسبة الى تركيا التي أصبحت تلعب دوراً متعاظماً في العراق ، ثم دوراً إقليمياً في المنطقة بعد ذلك.

3. إن هذا التوجه نحو الهيمنة غير العربية على مقدرات المنطقة يتعزز أكثر فأكثر بسبب استمرار غياب قوة عربية قوية ومؤثرة تستطيع مواجهة وموازنة النفوذ الإيراني ونفوذ الدول الأخرى كتركيا أو غيرها.

4. ومما يفاقم من هذا الوضع ، وهذا الخلل في ميزن القوى في المنطقة لصالح الدول غير العربية ، إستمرار الخلافات الحادة الناشبة بين الدول العربية ، وعجزها عن حل أو احتواء هذه الخلافات .

ولهذا فإنه مع أن الدول العربية تدرك هذا الخلل في التوازن الاقليمي لغير صالح العرب ، ومع أنها تدرك ما يمثله خطر صعود إيران كقوة إقليمية في المنطقة على المصالح العربية ، فإنها عجزت عن بلورة أي استراتيجية أو رؤية عربية لتعديل ميزان القوى ولمواجهة الأخطار التي ينطوي عليها هيمنة قوى غير عربية .

والدراسة تجمل هذه الصورة وتلخصها في المحصلة النهائية في أمرين [8] :-

1. القوى الفاعلة اليوم في المنطقة وصاحبة التأثير الأكبر والمهم هي قوى غير عربية وهي تحديداً : الولايات المتحدة وإيران وتركيا وإسرائيل .
2. أنه لا توجد اليوم قوة عربية قادرة وتستطيع تعديل ميزان القوى المختل لصالح العرب.

ولا توجد في الأفق إمكانية بلورة إستراتيجية عربية عامة لتعديل ميزان القوى لصالح العرب

المبحث الثاني:ةتوازن القوى في السياستين الأمريكية والإسرائيلية

لا تزال في الشرق الاوسط اليوم حقيقة ثابتة . فعلى الرغم من أن التوازن الاستراتيجي في المنطقة يميل بإضطراد لصالح القوتين البارزتين ، تركيا وإيران ، إلا أن الشرق الأوسط رغم تراجع دور ونفوذ الولايات المتحدة فيه بسبب حرب العراق والازمة المالية العالمية وأسباب أخرى ، سيبقى وإلى أمد مفتوح ، منطقة لهيمنة الولايات المتحدة المغلقة وسيطرتها المنضبطة

فالانحسار في التأثير لقوة عالمية عظمى بحجم الولايات المتحدة على منطقة لطالما اعتبرت الأكثر حيوية بالنسبة لمصالحها الكونية ، أصبح بالإمكان تعويض جزء منه بوجود الوكلاء أو الحلفاء الاقليميين ، وهو الدور الأرجح الذي باتت تلعبه تركيا اليوم في نمط وإتجاه يختلفان كلياً عن دور إسرائيل أو أدوار أي من مصر أو السعودية .

وهناك حقيقة أخرى . وهي أنه إذا كان بالإمكان إحتساب التوسع في النفوذ التركي والنفوذ الإيراني في المنطقة على أنه انتقاص كبير في المقابل من نفوذ اسرائيل ودورها التقليدي فيها ، بسبب تقهقر قوة وسطوة إسرائيل بعد حرب لبنان الاخيرة وحرب غزة وتراجع سمعتها الدولية بعد حادثة أسطول الحرية ،فإن مكانة إسرائيل تبقى مفروضة على جميع اللاعبين الاقليميين بضمان مكانة الولايات المتحدة ما بقت سيطرتها على الشرق الاوسط . كما أن قوة النفوذ الاسرائيلي تغذيه باستمرار حالة الانقسام والتشرذم العربي والعداوات العربية – العربية .

تعزيزاً لما تقدم ، نتناول الآن خلاصة ما جاء في تحليلين آخرين ناقشا نفس الموضوع . تأتي أهمية هذين التحليلين أيضاً ، كونهما ناقشا القضية في أعقاب مجزرة أسطول الحرية أحدهما ناقش المسألة من زاوية تأثيره على الولايات المتحدة ، والثاني من زاوية تأثيره على إسرائيل .

التحليل الأول كتبه أليوت أبرامز ، ونشرته مجلة (ويكلي ستاندارد) في عددها 21 حزيران الماضي . وإبرامز كما هو معروف كان نائباً لمستشار الامن القومي في إدارة الرئيس الامريكي السابق بوش ، وهو من غلاة المحافظين الجدد .

يعتبر إبرامز أن حادثة أسطول الحرية جاءت لتكشف عن توجهات أساسية تتعلق بميزان القوى في المنطقة ، تعتبر جدية بالنسبة للولايات المتحدة وخطيرة بالنسبة للدول العربية . أكبر مظاهر الخلل التي كشفت عنها الحادثة في رأيه أنها أظهرت مرة أخرى أن العرب أصبحوا (موضوعاً للفعل) وليسوا فاعلين أو مبادرين في تأريخ المنطقة وشؤونها ويرى أن تركيا إستغلت هذا الفراغ القائم . (9)

وبالطبع ، فإن تركيا لم تكن تعوزها الاسباب أو التبريرات الاستراتيجية أو الآيديولوجية التي دفعتها للمضي نحو ملئ هذا الفراغ ، ضمن طروحات وأفكار عدة منها فكرة (العمق الاستراتيجي) لوزير خارجيتها أحمد داوود أوغلو.

لذا يرى بعض المراقبين للسياسة التركية ، أن من الضروري مراقبة بعض التحركات التي يقوم بها اللاعب الاقليمي التركي لفهم بعض ما يجري في الشرق الأوسط بإعتبار وجود ترتيبات دولية على المستوى الاقليمي . معطيات عدة قد ترجح ، برأي البعض ، أن النموذج التركي سيقود المنطقة ، والأهم ان هذه الأفضلية التركية حلقة في خيار أهم يتعلق بدعم مسيرة تركيا العلمانية – الاسلامية كدولة إقليمية كبرى في المنطقة قد يمنحها الامريكيون الدور الذي يريدون في الشرق الاوسط . وان كان ذلك على حساب أقطاب أخرى تحاول الاستدراك حالياً حتى تبقى محوراً أساسياً في الاقليم .(10)

ويبدو أن الأمريكيين يدعمون صدارة تركيا لعدة أسباب استراتيجية ، من أبرزها تقديم نموذج مدني وعلماني لدولة إسلامية عصرية بجوار أوروبا وفي قلب الشرق الاوسط، كذلك فإن الرؤية التي تتبناها أجنحة مهمة داخل الإدارة الامريكية بضرورة إستكمال إنسحاب أمريكي كامل من العراق في المستقبل لن يكتب له النجاح من دون سيناريو استراتيجي محسوب ، وهنا يمكن لتركيا المؤثرة والفعالة في المنطقة أن تتقمص هذا الدور بإعتبارها حليفاً قوياً قد يخفف من آثار إنسحاب قد تشغله قوى أخرى منافسه وعلى رأسها إيران . (11)

لكن إبرامز لا يحبذ في الوقت عينه إتجاه السياسة الامريكية في التعويل الكامل على تركيا لمنع تفاقم النفوذ الإيراني داخل العراق إذ يقول ، إن الكل في المنطقة بات يعلم أن الإدارة الامريكية الحالية إصبح هدفها الاساسي الاكبر هو الخروج من العراق ، وليس تحقيق الاستقرار في العراق . وبما أن العراق القوي المستقر فقط يمكن أن يكون قوة مقاومة لإيران فإن سياسة الإدارة هذه وتوجهاتها تعطي الانطباع بأن أمريكا لن تواجه أو تتصدى للنفوذ الإيراني في المنطقة .[12]

وحول هذا الموقف الامريكي من إيران ، تتفق عدة دراسات أمريكية مع رأي إبرامز منها دراسة صدرت عن معهد بروكنغز بعنوان (أي الطرق تؤدي الى فارس: خيارات الاستراتيجية الأمريكية الجديدة تجاه إيران) ، وترى أن الخيار الذي تبنته بالفعل إدارة الرئيس أوباما تجاه إيران ، هي سياسة الاقناع عبر استخدام الحوافز الإيجابية والسلبية ، لكن حتى هذه السياسة لم تقنع إيران بالتخلي عن سلوكها المسبب للتهديدات الاقليمية ، مما يؤشر تراجعاً أمريكياً ملحوضاً أمام إيران .[13]

ويعتقد إبرامز أنه ما لم تخطط الولايات المتحدة جدياً لمواجهة إيران والتصدي لها ، فإن إيران سوف تحصل على الاسلحة النووية وسوف تزداد هيمنتها ونفوذها في المنطقة .[14]

باختصار ، في رأيه إن استمرار ضعف الإدارة الأمريكية وتراجع دور الولايات المتحدة في الشرق الاوسط ، يخلق فراغاً سوف تستمر في ملئه قوى معادية مثل إيران ، التي لن تسمح بعودة النفوذ الامريكي الى سابق عهده ، وأخرى حليفة مثل تركيا التي قد لا تشاطر الولايات المتحدة في الاجل القريب بالضرورة نفس الرؤى والخيارات الاستراتيجية . [15]

أما التحليل الثاني الذي سبق أن أشرنا إليه ضمن هذا المبحث ، فقد كتبه جروج فريدمان ، وهو محلل استراتيجي أمريكي معروف ن ونشره في إعقاب مجزرة أسطول الحرية تحت عنوان (العرب والاسرائيليون والتوازن الاستراتيجي) ، وهو يناقش حادثة أسطول الحرية من زاوية محددة ، وهي الى أي تحد يمثل ما كشفت عنه من أبعاد استراتيجية وما يمكن أن يترتب عليها من تهديد لإسرائيل ؟ وهو أيضاً يذهب إلى أن الحادثة كشفت عن الخلل الاستراتيجي في المنطقة . وهو يعتبر ان هذا الخلل هو لصالح اسرائيل . ومن ثم ، فإن كل الضجة التي أحاطت بقضية أسطول الحرية لا تحمل في النهاية أي تهديد استراتيجي لإسرائيل

والتبرير الرئيسي لوجهة نظره هذه يقوم على أن أعداء إسرائيل الاقليميين بينهم انقسامات وخلافات حادة وعميقة ، بحيث أنه لا يوجد أي تحالف إقليمي فعال ضد اسرائيل ، وليس من الوارد أن يتشكل مثل هذا التحالف في المستقبل المنظور . وينطبق هذا في رأيه أساساً على الدول العربية التي يعتبر أنها عاجزة تماماً عن تشكيل ولو حتى تحالف جزئي ضد اسرائيل (16) .

إن التفسير الموضوعي للحالة العربية حسب هذا الوصف تعود أساساً الى الظروف التأريخية التي قامت بفعل الصراع العربي – الإسرائيلي ، وللظروف التاريخية التي صاحبت قبل ذلك نشوء النظام الاقليمي العربي نفسه. فالتطور التاريخي لهذا الصراع وهذا النظام قد إقترنا بديمومة ما أصطلح على تسميته بظاهرة (صراع الأدوار العربية) ، التي اتخذت أنماطاً عديدة منها ، الصراع على قيادة النظام أو على دور الدولة القائدة ، والصراع على الأدوار بين القوى العربية الكبرى والقوى العربية الصغرى ، والصراعات بين الدول والتكوينات الاجتماعية الاخرى دون الدولة .(17)

ومن منظور كلي ، فإن موازنة إسرائيل أمر يصعب تحقيقه ، بالنسبة لأي من الدول العربية ، إستناداً الى عاملين أساسيين هما ، القوة العسكرية ، ذلك أن ما هو متاح لإسرائيل ليس متاحاً لبقية الدول العربية ، إن عبر إنتاج السلاح أو استقدامه من السوق الدولية والعامل الثاني ، وهو تحالفات إسرائيل الدولية ، وبالأخص تحالفها مع الولايات المتحدة والدول الغربية الكبرى . (18)

في حين إذا ما نظرنا الى ميزان القوى العربي – الاسرائيلي من منظور آخر ، بافتراضنا وحدة الكفة العربية ، وهو إفتراض نظري صرف ، فإننا سنجد رجحان الكفة العربية في بعض عناصر القوة الثابتة ، مثل : المساحة ، وعدد السكان ، والموارد الاقتصادية ، وحجم القوات المسلحة ، والموقع الاستراتيجي . ففي جميع الأحوال ، فإن في الكفة العربية عناصر ثابتة من القوة والقدرة ، وهي قابلة للتطوير والتعظيم بقدر ما تريد لها الإرادة العربية الموحدة من تطوير وتعظيم ، حتى تبلغ منزلة رفيعة تعلو على منزلة كفة اسرائيل . ولأن هذه الصورة نظرية صرف ، ولأن عوامل تغيير الوضع العربي الراهن ليست متوافرة بالقدر المناسب في

الظروف الحاضرة ، فإن ميزان القوى سيظل راجحاً لمصلحة إسرائيل ، وسيحافظ على رجحانه . (19)

ويركز فريدمان بالاضافة الى هذا على الانقسام والخلاف الحاد بين الفلسطينيين أنفسهم وإنقسامهم بين معسكرين متصارعين ، فتح من جانب وسيطرتها على الضفة وحماس في الجانب الآخر وسيطرتها على غزة .

هذا الانقسام في رأي الكاتب هو جغرافي وآيديولوجي حاد ، لكن أخطر ما فيه في رأيه هو أن فتح وحماس أصبحا يلعبان لعبة صفرية . بمعنى أنه وأخذاً في الاعتبار عجزهما عن التوحد وتشكيل تحالف ، والرغبة المتبادلة في إفشال كل طرف للآخر، فإن أي نصر لأحدهما أصبح يعتبر هزيمة للآخر .

ويعني هذا أنه بغض النظر عن التصريحات العلنية لفتح ، فإنها تعتبر أن التركيز الدولي الحالي على غزة بعد أسطول الحرية ، بمثابة إضعاف لها ، أي لفتح ، ويعني هذا في رأي أنه عند نقطة معينة ، فإن فتح سوف تسعى الى التقليل من شان المكاسب السياسية التي حصلت عليها حماس بعد عملية أسطول الحرية .

ويعني هذا كله في المحصلة النهائية كما يرى الكاتب أنه حتى من دون أن تسعى إسرائيل الى استغلال الانقسام الفلسطيني بين فتح وحماس ، فإن درجة العمق والحدة التي وصل إليها تعني عملياً أن التهديد الذي يمثله الفلسطينيون لإسرائيل قد إنتهى.(20)

الخاتمة

نختتم هذه الدراسة بالتأكيد على النتائج الآتية :

1. تتجه القوة التركية يوما بعد يوم ، الى مزيد من التعاظم في المنطقة العربية والشرق الأوسط عموماً بكسب مواقع حيوية جديدة وعلى الأصعدة كافة ، سياسياً وإقتصادياً واستراتيجياً .
2. ويمكن تحديد العوامل الابرز في زيادة النفوذ والدور التركي في المنطقة الى ما يلي :
3. تراجع النفوذ الامريكي في المنطقة بشكل عام ، للأسباب التي تم تناولها ضمن الدراسة وبالتالي تفويض الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي ، تركيا ، للعب المزيد من الإدوار في الشرق الأوسط ، تحقيقاً للمصالح الامريكية والغربية .
4. الشكوك العربية والغربية بالنوايا والأهداف التي تسعى إيران الى تحقيقها ضمن مشروعها الاستراتيجي الطويل للهيمنة الاقليمية على المنطقة ، وهو ما بات يحث تركيا على المزيد لأجل توسيع رقعة نفوذها في الشرق الأوسط ، ضمن إعتبارات وثوابت استراتيجية وتاريخية
5. القبول العربي العام بعودة تركيا ، لاعباً إقليمياً أساسياً في تقرير شؤون ومصائر المنطقة
6. لا تزال إيران تتمتع بالدور الاقليمي الابرز في الشرق الاوسط . فلا المزاحمة التركية ولا التشكيك للفريق الاكبر من الدول العربية ولا حتى الكوابح التي تضعها الولايات المتحدة في طريق الصعود الاقليمي ، يثني إيران عن مواصلة نهجها الثابت نحو بسط نفوذها في المنطقة
7. فلا تزال في حوزة إيران عدة أوراق قوية على الصعيد الاقليمي :
8. النفوذ الأقوى الذي يمتد بلا منازع عبر أراضي الهلال الخصيب من العراق الى غزة مروراً بسوريا ولبنان .
9. التحكم الاستراتيجي على جزء مهم من حركة النفط الدولية ، باعتبارها اللاعب الاقليمي الوحيد القادر على فرض إرادته السياسية على منافذ مرور الطاقة في منطقة الخليج .

10. إحتفاض إيران بزمام الورقة النووية ، عبر مراوغة القوى الدولية ودون إعتبار للضغوط والحوافز أو العقوبات التي تفرض عليها .

11. أما فيما يتعلق بالدول العربية ، فيمكن أن نستخلص ما يلي :

1. لا تزال الدول العربية غير قادرة على بلورة مشروع استراتيجي جديد يكون قادراً على إعادة هيكلة النظام الاقليمي العربي برؤى وتصورات تتلائم مع تغيرات السياسة الدولية .

2. لا تزال الدول العربية عاجزة عن تحديد خياراتها وأولوياتها للتعامل مع المشروع الإيراني والمشروع التركي في المنطقة .

3. لم تتمكن الدول العربية من حسم تناقضاتها وحل خلافاتها والخروج بمنظور استراتيجي جامع نحو تأسيس نظرية قومية شاملة للأمن القومي .

المصادر والمراجع

1. أحمد داوود أوغلو : سياسة تركيا في الشرق الاوسط والعلاقات التركية – المصرية شبكة الانترنت ، موقع مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات http://www.alzaytouna.net
2. مُحَمَّد نورالدين : قوة الرؤية والإرادة : لماذا يتنامى الدور التركي ، شبكة الانترنت موقع صحيفة الغد ، http://www.alghad.com
3. أحمد داوود أوغلو ، مصدر سبق ذكره.
4. عيران عتسيون : تقدير موقف سياسي – استراتيجي لإسرائيل 2008 -2009 جريدة السفير ، بيروت ، 2009/6/1.
5. مروان شحادة : أمريكا وإيران : رهانات القوة والهيمنة على الشرق الأوسط، شبكة الانترنت ، موقع مجلة العصر ، http://www.alasr.ws.
6. إسراء أحمد : الشرق الأوسط بعد إحتلال العراق ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة تشرين الأول ،2010 ، العدد 182 .
7. السيدة زهرة : إيران وتركيا والعرب القضايا المسكوت عنها ، شبكة الانترنت ، موقع شبكة البصرة ، http://www.albasrah.net
8. مجموعة كتاب : ميزان القوى وصراع النفوذ في منطقتنا العربية ، شبكة الانترنت موقع التجمع القومي الديمقراطي http://www.al-qawmi.org
9. المصدر نفسه .
10. شكري الصيفي : إستعادة الحكم العثماني .. الدلالات والآفاق ، موقع مجلة الطليعة ، 17 آذار ، 2010 ، العدد1837، شبكة الانترنت http://www.taleea.com
11. المصدر نفسه .
12. السيدة زهرة ، مصدر سبق ذكره .
13. [13](Kenneth M.Pollack and others, Which path to Persia? options for a new American strategy

Toward Iran, Brookings Institutions, June2009. http://www.brookings.edu

14. السيدة زهرة ، مصدر سبق ذكره.
15. مجموعة كتاب ، التجمع القومي الديمقراطي ، مصدر سبق ذكره.
16. السيدة زهرة ، مصدر سبق ذكره .
17. مُحَمَّد سعد أبو عامود : صراع الأدوار في الشرق الأوسط ، موقع جريدة عمان ، 29 تشرين الأول 2010 ، شبكة الانترنت ، http://www.omandaily.com
18. عبد الجليل زيد مرهون : صفقة الاسلحة الأمريكية للسعودية من منظور إقليمي موقع مركز الجزيرة للدراسات ، شبكة الانترنت ، http://www.aljazeera.net
19. هيثم الكيلاني : مشروع النظام الشرق أوسطي في بعده الأمني ، موقع المركز اللبناني للدراسات ، شبكة الانترنت ، http://www.ICPS-lebanon.org
20. مجموعة كتاب ، التجمع القومي الديمقراطي ، مصدر سبق ذكره.